الحياة الادبية بالمغرب

بقلم محمد عبد المجيد بن جلون

لقد حان أن نتكلم نحن أيضاً عن الحياة الأدبية فى بلادنا ، فا(لرسالة) سائرة تتحدث عن الأدب فى الأقطار العربية ، التى — وإن بددتها الأطماع السياسية — ستظل تجمعها لغة الضاد إلى ماشاء الله . ونعنى بالمغرب المغرب الأقصى ، وبالأدب الأدبَ الحديث ؛ أما الأدب القديم فنود أن نرجع إليه فى مناسبة أخرى لما شاع فى المشرق من أن المغرب قطر لم يساهم فى الأدب العربى ، وتلك حقيقة اكتشفها مؤلفا كتاب : « المطرب فى تاريخ الأندلس والمغرب » محمد مجاج ، وعلى سمد ؛ ومصدر ذلك هو الجهلُ بالمغرب وتاريخه . والمؤلفان معذوران — إلى حد ما — لأن تاريخ المغرب — والأدبى منه بنوع خاص — لا يزال فى ظلمات المكاتب ، إلا قليلاً ؛ على أن هذا القليل نفسه لا يسمح لنا أن نحكم بأن المغرب ليس له أدب قديم ؛ وما نريد أن نزيدها على ما كتب فى هذا الموضوع أستاذنا محمد علال الفاسى (المغرب الجديد — عدد ٣ — السنة الأولى)

وبعد ، فما هى حالة الأدب العربى بالمغرب اليوم ؟ لقد أجهدت نفسى فى أن أصل إلى جواب أطمئن إليه عن هـذا السؤال ، فما وجدتُ الحقيقة إلا فى أنها حالة ضعيفة ؛ فما هى الكتب الأدبية — بالمعنى الصحيح — التى يصدرها المغرب ؟ . . . . . أعفنى بربك أيها القارىء ، فالحقيقة مرة ، وقلبى يضطرب عند ذكرها اضطراباً

وإذ عَدِمنا الكتب فلنتساءل عن الصحف . إن كل ما يصدره المغرب مجلتان أدبيتان : الأولى « مجلة المغرب » للأستاذ محمد الصالح ميسة برباط الفتح ، والثانية « المغرب الجديد » للأستاذ محمد المكىّ الناصرى بتطوان ، اجتازت الأولى مرحلة أربع سنوات ، والثانية أتمت سنتها الأولى منذ قريب . فما قيمة ما تنشر هاتان المجلتان ؟ ذلك ما نريد أن نتحدث عنه الآن باختصار

فأولاً يجب أن تعلم أن المجلات المصرية — يا للمجلات المصرية ! — طغت عليهما إلى درجة أن إحداهما لا تباع فى فاس ، لأنها فقدت المشترى بالمرة وهما معاً تصدران شهرياً ، فلننظر الآن ما فى هاته المجموعات

أما ما يسمى بالبحث الأدبى ففيها الكثير ، خصوصاً حول الأدب العربى فى المغرب قديماً ، فهـذا البحث الذى يتابع نشره الأستاذ محمد علال الفاسى على الطريقة الحديثة ، عن أبى على اليوسى ، وبحثه القيم يبهر القارىء ؛ وهو يكتب الآن بحثاً عن أثر شعر المتنبى فى المغرب بمناسبة ذكراه الألفية ، وموضوع كهذا ، فى وقت بالمغرب كهذا ، يصدر بهذا العنوان الخطير ، يكاد لا يصدقه العقـل ، وأحكم على البحث بالبراعة والالمـام بالموضوع لأننى اطلعت على جزء منه

وأما إذا بحثت عما يسمى بالانتاج الأدبى ، فذلك ما لا تعثر عليه ، فليس يدور بخلد المغربى أن يعالج القصة ، بل القصة عنده لهوٌ وعبث يجب أن يضنّ عليه بوقته الثمين . . . وهناك شعرٌ قليل ولـكنه نظم ليس إلا ، ذلك أن المغاربة يجهلون الشعر تماماً ، اللهم إلا قواعد جافة لا تسمن ولا تغنى من جوع . والذين يزعمون أنهم شعراء يزعمون كذلك أنهم أعلى من أن يحدثهم طه حسين مثلاً عن فن الشعر . يقلدون القدماء ويقفون ويستوقفون ، مما كان سائغاً فى العصور الغابرة أيام الناقة والجمل ، أما اليوم فكل هـذا محاكاة لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وليست من الشعـ ـ شىء . كذلك يفقدون المثل الأعلى ، وإنما هو هذا ـى إلى

لعلم من العلوم حتى يجيـدوا فهم القرآن الحكيم الجامع لكل العلوم ويجيدوا تفسيره

٤ — أن يترجم الأزهر خيرة المؤلفات العربية ذات العلاقة بالدين الاسلامى والرسول العربى الى اللغات الحية

٥ — أن يبعث ارساليات تبشيرية تحت كل كوكب تبشر بالحكمة والموعظة الحسنة للناس جميعا

٦ — أن يكتب سيرة الرسول العظيم كتابة تتفق مع ماورد فى الفرقان الحكيم والأحاديث الصحيحة ، ورأى المؤرخين السياسيين المنصفين

٧ — أن يترجم تلك السيرة ، أم الحياة ، الى اللغات الحية جميعها وأن يطبع ما صُنف من المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن الدين

(دمشق) نيب الريانى

غير غاية ، ومعان مفككة ، وهم ضعفاء الخيال ، والحقيقة أن حالة المغرب الاجتماعية لها الأثر الفعال في هاته الناحية ، وهنا أستثني شاعر شبابنا الأستاذ محمد علال العباسي فاسمع هاته النغمات الحلوة يرسلها قلب عليم قد امتلأ حباً لهذا الوطن العزيز :

وإذا متُّ عليـــه فأنا مطمئن لرضاه المثمن
فاغسلوا بالمـاء منه بدني واجعلوا نسج بنيه كفني
وادفنوني في ثراه وضعوا فوق قبري منه زهر السوسن
واكتبوا فوق ضريحي بيدي ها هنا قبر شهيد الوطن

واذا تصورت الشاعر منفياً عن مهد صباه ، بعيداً عن الأهل والوطن ، في باريس ، طلبت منه أن تعيد النظر في هاته الأبيات ؛ وهو لا زال لم ينشر ديوانه « روض الملك » بعد ؛ وله قصائد رائعة — عند ما كان في باريس تجدها في مجلة السلام ، يوم كانت مجلة السلام !

وأكثر ما ينشر ويذاع من قصائد للمغاربة ردئ سقيم ، أشفق على قارئه وسامعه أكثر مما أشفق على قائله . . .

والآفة التي تستولي على المغاربة هي الكسل ، وماذا يتطلب قول الشعر . . . هل يحتاج الى اطلاع في التاريخ أو تحصيل شيء من الفنون . . . هكذا يظنون ، فينشأ الكسل

والنهضة المغربية تقوم على أكتاف الشباب الناشيء ، فهناك شباب يكتبون لأنفسهم ، ويقولون الشعر لها أيضاً ، وربما أطلعوا بعض أصدقائهم على ذلك ، وبعد هذا فالى ظلمات الدرج ، حيث يعلم الله وحده ماذا يكون منها ، وكاتب السطور يعرف جماعة من هؤلاء في فاس اطلع لهم على قصص لا بأس به ، وشعر له حظه من الجودة يبشران بمستقبل حافل . اذن فالأمل في الشباب الناشيء الذي يقرأ بنهم ما يكتبه أفذاذ الشرق ، فاعتدلت بذلك أفكاره نوعاً من الاعتدال ، ويوشك ان هو استمرّ على اجتهاده أن يكون منه ادباء ، يبذرون في الأرض المغربية الخصبة بذور الأدب الصحيح ، بل إني أؤكد أن هؤلاء الناشئين لابد أن يكون لهم شأن ، فما كانت هاته الجهود لتضيع هباء

بهذه اللمحة الموجزة تستطيع أن تتبين ما في المغرب من أدب ، وأن تستنتج أنه في الحالة الحاضرة ضعيف الأدب ، وأنه وإن لم يكن ميتاً فهو قريب من ذلك ، وأن حالة الناشئة تبشر بمستقبل زاهر قريب ، لما لهذا الشباب الطموح من عزيمة

والعقلية المغربية أقرب الى العلم منها إلى أي شيء آخر ولو كنا نتحدث عن الحالة العلمية لطال بنا الحديث ، خصوصاً ما يلقى في جامعة القرويين من دروس جامعة مع اعترافنا بما فيها من نقص وما تحتاج اليه من تهذيب

ولعله استرعى نظرك أننا ما ذكرنا غير الأستاذ محمد علال العباسي فليس معنى ذلك أنه ليس في المغرب غيره ، ولكن معناه ، أنه — في نظري — أعدل إخوانه الأدباء رأياً ، وأقربهم إلى الصواب ، فهو أديب حقاً ، وله نفسية الأديب ، ويحيا حياته وكل من يعرف وداعته وأخلاقه يطمئن إلى ما نقول ، بيد أنه لا يصرف كل أوقاته — ولا جلّها — في الأدب ، بل اشتغال به محدود ضيق الدائرة ، ولو كان يفعل لكان أديباً جباراً فما خُلق إلا ليكون أديباً

بقي أن نقول إن القرويين والمدارس القومية والحكومية كلها تحمد وتعاب ، غير أن أفضل معهد للدرس هو القرويين ، ولو كان أبناء « الكوبلج ومولاي ادريس » يشتغلون بالعربية ، لكانوا أنجب من أبناء القرويين ، ولكن كل همهم في الأدب الفرنسي والتفرنج ، وهم زيادة على ذلك يعيشون في ظلام لا يستطيعون السير فيه وحدهم

وهنا ننوّه بما (للرسالة) الغراء على أبناء المغرب من فضل ، فاليها يرجع طموح الناشئة ، على هداها يسيرون ، وبنورها يهتدون ؛ فشكراً لك (يا رسالة) الحياة ، ولك أنت يا مصر الشقيقة ، فلن تجدي في المغرب نكراناً للجميل

فاس — محمد عبد العزيز بن عبد الله

مجـــلة العلوم

تصدرها جمعية خريجي المعلمين العليا
وهي من أكبر الهيئات العلمية في مصر
مجلة ثقافية تكتب في أحدث المخترعات والأبحاث العلمية بلغة مبسطة لتكون في متناول كل راغب في الثقافة العلمية حتى غير الفني . من يقتنيها فكأنما يقتني دائرة معارف حديثـــة